KINGDOM OF BAHRAIN
Ministry of Education

مملكة البحرين
وزارة التربية والتعليم

اللجنة المنظمة لجائزة القرآن الكريم والسنة النبوية

جائزة
القرآن الكريم والسنة النبوية (٤٧)

الأحاديث النبوية المقررة
للعام الدراسي ٢٠٢١/٢٠٢٢م

الحلقة الثالثة

(باب الإخلاص وإحضار النية وباب التوبة)

(١) عَنْ عُمرَ بنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، قال: سمِعْتُ رسُولَ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يقُولُ: «إنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كانَت هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إلى ما هَاجَر إليْهِ». متَّفَقٌ عليه.

الشرح

- لما كان هذا الباب في الإخلاص، حيث ينبغي إخلاص النية لله عز وجل، في كل قول، وكل فعل، وعلى كل حال، صُدر هذا بحديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، الذي قال فيه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى)):
- هاتان الجملتان اختلف العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ فيهما:
- فقال بعض العلماء: إنهما جملتان بمعنى واحد، وإن الجملة الثانية تأكيد للجملة الأولى.
- وهذا ليس بصحيح، وذلك لأن الأصل في الكلام أن يكون تأسيسًا لا توكيدًا، ثم إنهما عند التأمل يتبين أن بينهما فرقًا عظيمًا؛ فالأولى سبب، والثانية نتيجة:
  - **الأولى**: (سبب) ـ يبين فيها صلى الله عليه وسلم أن كل عمل يعمله الإنسان وهو عاقل مختار ـ لابد فيه من نية؛ حتى قال بعض العلماء: (لو كلفنا الله عملًا بلا نية، لكان من تكليف ما لا يطاق!).
- وهذا صحيح؛ كيف تعمل وأنت في عقلك، وأنت مختار غير مكره، كيف تعمل عملاً بلا نية؟! هذا مستحيل؛ لأن العمل ناتج عن إرادة وقدرة، والإرادة هي النية.
- يتفاوت الناس في نياتهم تفوتًا كبيرًا؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملًا واحدًا؛ يتفقان في ابتدائه وانتهائه، وفي الحركات والسكنات، والأقوال والأفعال، وبينهما اختلاف في النية.
  - **والثانية**: (نتيجة) بقوله: ((وإنما لكل امريءٍ ما نوى))؛ فكل امريء له ما نوى: إنْ نوى الله والدار الآخرة في أعماله الشرعية، حصل له ذلك، وإن نوى الدنيا، قد تحصل وقد لا تحصل.
- قال الله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) (الاسراء: الآية ١٨). ما قال: عجلنا له ما يريد؛ بل قال: (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ)، لا ما يشاء هو؛ (لِمَنْ نُرِيدُ) لا لكل إنسان، فقيد المعجل والمعجل له؛ فمن الناس: من يعطى ما يريد من الدنيا، ومنهم: من يعطى شيئاً منه، ومنهم: من لا يعطى شيئاً أبدًا.
- أما: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ (الإسراء:١٩) لابد أن يجني ثمرات هذا العمل الذي أراد به وجه الله والدار الآخرة.

- وقوله: ((إنما الأعمال بالنيات...إلخ)) هذه الجملة والتي قبلها ميزان لكل عمل؛ لكنه ميزان الباطن، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) ميزان للأعمال الظاهرة.
- ولهذا قال أهل العلم: ((هذان الحديثان يجمعان الدين كله)) حديث عمر: ((إنما الأعمال بالنيات)) ميزان للباطن، وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) ميزان للظاهر.
- ثم ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلًا يطبق هذا الحديث عليه، قال: ((فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)).
- ((الهجرة)): أن ينتقل الإنسان من دار الكفر إلى دار الإسلام. مثل أن يكون رجل في دار كفر . فيسلم، ولا يتمكن من إظهار دينه هناك، فينتقل منها إلى البلاد الإسلامية، فهذه هي الهجرة.
- وإذا هاجر الناس، فهم يختلفون في الهجرة:
- **الأول: منهم من يهاجر، ويدع بلده إلى الله ورسوله؛ يعني إلى شريعة الله** التي شرعها الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي ينال الخير، وينال مقصوده؛ ولهذا قال: ((فهجرته إلى الله ورسوله))؛ أي فقد أدرك ما نوى.
- **الثاني من المهاجرين: هاجر لدنيا يصيبها**، يعني: رجل يحب جمع المال، فسمع أن بلاد الإسلام مرتعًا خصبًا لاكتساب الأموال، فهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ من أجل المال فقط، لا يقصد أن يستقيم دينه، ولا يهتم بدينه، ولكن همه المال.
- **الثالث: رجل هاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام**؛ يريد امرأة يتزوجها، قيل له: لا نزوجك إلا في بلاد الإسلام، ولا تسافر بها إلى بلد الكفر، فهاجر من بلده . بلد الكفر. إلى بلاد الإسلام؛ من أجل أن يتزوج هذه المرأة.
- فمريد الدنيا ومريد المرأة، لم يهاجر إلى الله ورسوله، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((فهجرته إلى ما هاجر إليه))، وهنا قال ((إلى ما هاجر إليه)) ولم يقل ((فهجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها)).

- لماذا؟

- قيل: لطول الكلام؛ لأنه إذا قال: فهجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها؛ صار الكلام طويلاً، فقال: ((هجرته إلى ما هاجر إليه)).
- وقيل: بل لم ينص عليهما؛ احتقارًا لهما، وإعراضًا عن ذكرهما؛ وهما: الدنيا، والزوجة، ونية الهجرة . التي هي من أفضل الأعمال . لإرادة الدنيا والمرأة؛ نية دونية، قال: ((فهجرته إلى ما هاجر إليه)) فلم يذكر ذلك تقليلًا، لأنها نية فاسدة.

- وعلى كل حال، لا شك أن هذا الذي نوى بهجرته الدنيا، أو المرأة التي ينكحها، أن نيته دونية، بخلاف من يهاجر إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

- أقسام الهجرة:

- الهجرة تكون **للمكان**، وتكون **للعمل**، وتكون **للعامل**.
- **القسم الأول**:
- **هجرة المكان**: بأن ينتقل الإنسان من مكان تكثر فيه المعاصي، ويكثر فيه الفسوق، وربما يكون بلد كفر إلى بلد لا يوجد فيه ذلك.
- وأفضل الهجرة هي الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وقد ذكر أهل العلم أنه يجب على الإنسان أن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام إذا كان غير قادر على إظهار دينه.
- وأما إذا كان قادرًا على إظهار دينه، ولا يُعارَضُ إذا أقام شعائر الإسلام؛ فإن الهجرة لا تجب عليه، ولكنها تستحب، وبناءً على ذلك يكون السفر إلى بلد الكفر أعظم من البقاء فيه، فإذا كان بلد الكفر الذي كان وطن الإنسان؛ إذا لم يستطع إقامة دينه فيه؛ وجب عليه مغادرته، والهجرة منه.
- **ولا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد الكفر إلا بشروط ثلاثة:**
- **الشرط الأول**: أن يكون عنده **علم يدفع به الشبهات**؛ لأن الكفار يوردون على المسلمين شبهًا في دينهم، وشبهًا في رسولهم، وشبهاً في كتابهم، وشبهًا في أخلاقهم، وفي كل شيء يوردون الشبهة؛ ليبقى الإنسان شاكا متذبذبًا، ومن المعلوم أن الإنسان إذا شك في الأمور التي يجب فيها اليقين؛ فإنه لم يقم بالواجب، فالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ـ الإيمان بهذه ـ يجب أن يكون يقينًا؛ فإن شكّ الإنسان في شيء من ذلك فهو كافر.
- فالكفار يدخلون على المسلمين الشك، حتى إن بعض زعمائهم صرح قائلًا: لا تحاولوا أن تخرجوا المسلم من دينه إلى دين النصارى، ولكن يكفي أن تشكِّكوه في دينه؛ لأنكم إذا شككتموه في دينه سلبتموه الدين، وهذا كاف، أنتم أخرجوه من هذه الحظيرة التي فيها الغلبة والعزة والكرامة ويكفي. أما أن تحاولوا أن تدخلوه في دين النصارى ـ المبني على الضلال والسفاهة ـ فهذا لا يمكن، لأن النصارى ضالون، كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان دين المسيح عليه الصلاة والسلام دين حق، لكنه دين الحق في وقته قبل أن ينسخ برسالة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الهدى والحق فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.
- **الشرط الثاني**: أن يكون عنده **دينٌ يَحمِيه من الشهوات**؛ لأن الإنسان يدفع به الشبهات. الذي ليس عنده دين إذا ذهب إلى بلاد الكفر انغمس؛ لأنه يجد زهرة الدنيا، هناك شهوات، من خمر، وزنى، وكل إجرام موجود في بلاد الكفر. فإذا ذهب إلى تلك البلاد، فإنه يُخشى عليه أن ينزلق في هذه الأوحال، إلا إذا كان عنده دين يحميه. فلابد أن يكون عند الإنسان دين يحميه من الشهوات.
- **الشرط الثالث**: أن يكون **محتاجًا إلى ذلك**؛ مثل أن يكون مريضًا؛ يحتاج إلى السفر إلى بلاد الكفر للاستشفاء، أو يكون محتاجًا إلى علم لا يوجد في بلد الإسلام تخصص فيه؛ فيذهب إلى هناك ويتعلم، أو يكون الإنسان محتاجًا إلى تجارة، يذهب ويتجر ويرجع. فلا يذهب إلا لحاجة.
- ويدخل في هذا، السفر إلى بلاد الكفر للدعوة إلى الإسلام، فهذا جائز؛ إذا كان له أثر وتأثير هناك، لأنه سفر لمصلحة، وبلاد الكفر كثيرٌ من عوامهم قد عُمِّيَ عليهم الإسلام، لا يدرون عن الإسلام شيئاً، بل قد ضُلِّلوا، وذلك

بما تبثه وسائل الإعلام لديهم بأن الإسلام دين وحشيَّةٍ وهمجيَّةٍ ورعاع، ولا سيما إذا سمع الغرب بمثل هذه الحوادث التي تحصل على أيدي بعض الغلاة من المسلمين، فينفر الناس من الإسلام بسبب ذلك، نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعًا صراطه المستقيم.

- **القسم الثاني: هجرة العمل**، وهي أن يهجر الإنسان ما نهاه الله تعالى عنه من المعاصي والفسوق ١ما نهى الله عنه)).
فتهجر كل ما حرم الله عليك، سواء كان مما يتعلَّق بحقوق الله، أو ما يتعلَّق بحقوق عباد الله؛ فتجهر السب والشتم والقتل والغش وأكل المال بالباطل وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، فإن دعتكَ نفسك إلى هذا وألحَّت عليك، فاذكر أن الله حرَّم ذلك حتى تهجره وتبعد عنه.

- **القسم الثالث: هجرة العامل**، فإن العامل قد تجب هجرته أحيانًا.
- قال بعض أهل العلم: مثل الرجل المجاهر بالمعصية؛ الذي لا يبالي بها؛ فإنه يُشرعُ هَجْره إذا كان في هَجْرِه فائدة ومصلحة؛ من أنه إذا هُجر عَرف قدر نفسه، ورجع عن المعصية.
- ومثاله: رجل معروف بالغش بالبيع والشراء؛ فيهجره الناس، فإذا هجروه تاب من هذا ورَجَع وندِم.
- أما إذا كان الهجر لا يُفيد ولا ينفع، وكان من غير معصية، فلا يحلُّ هجره؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)).
- ومن المعلوم أن المعاصي التي دون الكفر عند أهل السنة والجماعة لا تخرج صاحبها من الإيمان.
- فيبقى النظر بعد ذلك؛ **هل الهجر مفيد أو لا؟**
- فإن أفاد، وأوجب أن يدع الإنسان معصيته فإنه يُهجر.
- ودليل ذلك قصة كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع . رضي الله تعالى عنهم – الذين تخلفوا عن غزوة تبوك؛ فهجرهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر المسلمين بهجرهم، لكنهم انتفعوا في ذلك انتفاعًا عظيمًا، ولجأوا إلى الله تعالى، بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وأيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه فتابوا وتاب الله عليهم.
- قال تعالى: [وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ].

****

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «صَلاَةُ الرَّجُلِ في جماعةٍ تزيدُ عَلَى صَلاَتِهِ في سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بضْعاً وعِشْرينَ دَرَجَةً، وذلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِد لا يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ، لا يَنْهَزُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لَمْ يَخطُ خُطوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِها دَرجةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطيئَةٌ حتَّى يَدْخلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دخل الْمَسْجِدَ كانَ في الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ هِيَ التي تحبِسُهُ، وَالْمَلائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدكُمْ ما دام في مَجْلِسِهِ الَّذي صَلَّى فِيهِ، يقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مالَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» متفقٌ عليه.

الشرح

- إذا صلى الإنسان في المسجد مع الجماعة كانت هذه الصلاة أفضل من الصلاة في بيته أو في سوقه سبعًا وعشرين مرة؛ لأن الصلاة مع الجماعة قيام بما أوجب الله من صلاة الجماعة.
- القول الراجح من أقوال أهل العلم: إن صلاة الجماعة فرض عين؛ وإنه يجب على الإنسان أن يصلي مع الجماعة في المسجد، لأحاديث وردت في ذلك.
- ولما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ الآية.[النساء:١٠٢]. فإذا أوجب الله تعالى صلاة الجماعة في حال الخوف؛ ففي حال الأمن من باب أولى وأحرى.
- ثم ذكر السبب في ذلك: ((بأن الرجل إذا توضأ في بيته فأسبغ الوضوء، ثم خرج من بيته إلى المسجد لا ينهزه، أو لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوةً إلا رفع الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة))، سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد.
- **كل خطوة يحصل بها فائدتان:**
  - **الفائدة الأولى: أن الله يرفعه بها درجة.**
  - **والفائدة الثانية: أن الله يحطُّ بها خطيئة.**
- وهذا فضل عظيم. حتى يدخل المسجد؛ فإذا دخل المسجد فصلى ما كتب له، ثم جلس ينتظر الصلاة؛ ((فإنه في صلاة ما انتَظَرَ الصلاة))؛ وهذه أيضاً نعمة عظيمة؛ لو بَقِيْتَ منتظرًا للصلاة مدة طويلة، وأنت جالس لا تصلي، بعد أن صليت تحية المسجد، فإنه يحسب لك أجر الصلاة.
- ومن فوائد انتظار العبد الصلاة، أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، تقول: (اللهم صلِّ عليه، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه))، وهذا فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال.
- يدل قوله: ((ثم خرج من بيته إلى المسجد **لا يخرجه إلا الصلاة**)) . على اعتبار النية في حصول هذا الأجر العظيم، وبحيث يكون على طهارةٍ.

****

(٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاسٍ رَضِي الله تعالى عنهما، عَنْ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، فِيما يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «إِنَّ الله كتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك: فمَنْ همَّ بِحَسَنةٍ فَلَمْ يعْمَلْهَا كتبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حسنةً كامِلةً وَإِنْ همَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْر حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعمَائِةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كثيرةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِها فعَمِلهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» متفقٌ عليه.

الشرح

- قوله: ((**إن الله كتب الحسنات والسيئات**))؛ فكتابته للحسنات والسيئات تشمل معنيين:
- **المعنى الأول: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ**، فإن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ؛ كل شيء كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣]، فجميع السيئات والحسنات مكتوبةً في اللوح المحفوظ. ثم إذا عملها العبد فإن الملائكة عليهم السلام يكتبونها حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

- **فهاتان كتابتان (أو تدوينان):**
  - **الكتابة السابقة (التدوين الأزلي):** وهذه الكتابة، وهذا التدوين، منذ الأزل، منذ أن خلق الله تعالى القلم، وكتب القلم مقادير العباد إلى يوم القيامة، وهذه الكتابة من خير أو شر لا يعلمها إلا الله تعالى، فلا يعلمها لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل.
  - **والكتابة اللاحقة (التدوين الآني):** إذا عمل الإنسان العمل كُتب له حسب ما يقضيه الله تعالى بحكمته، وعدله، وفضله، والملائكة عليهم السلام تكتب عمل العبد من خير وشر، كما قال تعالى: [كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ] (الانفطار: الآيتان ١١، ١٢).

- ((**ثم بَيَّن ذلك**)) كيف أن الإنسان إذا همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى حسنة كاملة.
- **مثاله:** أن يهمَّ رجل أن:
- يتوضأ ليقرأ القرآن، ثم لم يفعل ذلك وعدل عنه، يُكتب له بذلك حسنة كاملة.
- يتصدق، وعيَّن المال الذي يريد أن يتصدق به، ثم أمسك ولم يتصدق، يُكتب له بذلك حسنة كاملة.
- يصلي ركعتين، فأمسك ولم يصلِّ، يُكتب له بذلك حسنة كاملة.
- **فإن قال قائل: كيف يكتب له حسنة وهو لم يفعلها؟**

-**فالجواب على ذلك** أن يقال:

-إنّ فضل الله تعالى واسع، فهذا الهمُّ الذي حدث منه يعتبر حسنةً؛ لأن القلب همّام؛ إما بخير أو بشر. فإذا همَّ بالخير فهذه حسنة تكتب له، فإنْ عملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

-وهذا التفاوت مبني على الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فكلما كان الإنسان في عبادته أخلص لله كان أجره أكثر، وكلما كان الإنسان في عبادته أتبع للرسول صلى الله عليه وسلم كانت عبادته أكمل، وثوابه أكثر.

-أما السيئة فقال: ((**وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة**)). أي: أن الإنسان إذا همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى بفضله حسنة.

- **مثاله** أن يهمَّ رجل أن:

- يسرق، ولكن ذكر الله عز وجل، فأدركه الخوف منه، فترك السرقة، فإنه يكتب له بذلك حسنة كاملة؛ لأنه ترك فعل المعصية لله، فأثيب على ذلك. كما جاء ذلك مفسرًا في لفظ آخر: ((إنما تَرَكَها مِن جَرَّايَ)) أي: من أجلي.

-يغتاب شخصًا، ولكنه تذَكر أن هذا محرم فتركه لله؛ فإنه يعطى على ذلك حسنة كاملة.

-فإن عمل السيئة كتبت سيئة واحدة فقط، لا تزيد، لقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام:١٦٠].

-في الحديث دليل على اعتبار النية؛ وأن النية قد تُوصل صاحبها إلى الخير.

-أما إذا نوى الإنسان الشر، وعمل العمل الذي يوصل إلى الشر، ولكنه عجز عنه؛ فإنه يكتب عليه إثم الفاعل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)) قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: ((لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه)).

****

(باب التوبة)

(٤) عنْ أبي حَمْزَةَ أَنَس بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ خَادِمِ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: «للَّهُ أَفْرحُ بتوبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سقطَ عَلَى بعِيرِهِ وقد أَضلَّهُ في أَرضٍ فَلاةٍ». متفقٌ عليه.

- **وفي رواية لمُسْلِمٍ: «للَّهُ أَشدُّ فرحاً بِتَوْبةِ عَبْدِهِ حِين يتُوبُ إِلْيهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كان عَلَى راحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فلاةٍ، فانْفلتتْ مِنْهُ وعلَيْها طعامُهُ وشرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فأَتَى شَجَرةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، وقد أَيِسَ مِنْ رَاحِلتِهِ، فَبَيْنما هوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِها قَائِمة عِنْدَهُ، فَأَخذ بِخطامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ: اللَّهُمَّ أَنت عبْدِي وأَنا ربُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفرح».**

الشرح

- ((**خادم النبي صلى الله عليه وسلم**))، وذلك أن أنسًا رضي الله تعالى عنه حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له: هذا أنس ابن مالك يخدمك، فَقَبِلَ صلى الله عليه وسلم ذلك، وصار أنس من خُدَّام النبي صلى الله عليه وسلم.
- ذكر أنس رضي الله تعالى عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((لله أشد فرحاً بتوبة عبده إذا تاب إليه)) من هذا الرجل الذي سقط على راحلته بعد أن أضلّها.
- وذكر القصة، وهي كالآتي:
  - كان رجل في أرض فلاة، ليس حوله شيء؛ لا ماء ولا طعام ولا أناس. فضلَّ بعيره وضاع عنه، فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! قد أيسَ من بعيره، وأيس من حياته؛ لأن طعامه وشرابه على بعيره، والبعير قد ضاع، فبينما هو كذلك إذا بناقته عنده قد تعلَّق خطامها بالشجرة التي هو نائم تحتها. فبأي شيء يقدَّر هذا الفرح؟ هذا الفرح لا يمكن أن يتصوره أحد إلا من وقع في مثل هذه الحال!! لأنه فرح عظيم، فرح بالحياة بعد الموت، ولهذا أخذ بالخطام فقال: ((اللهم أنت عبدي وأنا ربك))!.
  - أراد أن يُثني على الله فيقول: ((اللهم أنت ربي وأنا عبدك)) لكنه من شدة فرحه أخطأ.
- في هذا الحديث من الفوائد ما يأتي:
- دليل على فرح الله عز وجل بتوبة عبده إذا تاب إليه، وأنَّه يحب ذلك سبحانه وتعالى محبة عظيمة، لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا؛ فالله سبحانه غنيٌّ عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم؛ فإنه يحب سبحانه وتعالى أن يعفو وأن يغفر، أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ.
- حث على التوبة؛ وهي من مصلحة العبد، ولأن الله تعالى يُحبها.

- إثبات صفة **الفرح** لله عز وجل، فهو سبحانه يفرح، ويغضب، ويكره ويحب، وهذه الصفات ليست كصفاتنا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ، بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله ولا يشبه فرح المخلوقين.
- دليل على أن الإنسان معذور على جهله ونسيانه وخطأه، فلا يؤاخذ إذا أخطأ في قول من الأقوال ولو كان كفرًا لسبق لسانه إليه؛ فإنه لا يؤاخذ به فهذا الرجل قال كلمة كفر؛ لأن قول الإنسان لربه: **(أنت عبدي وأنا ربك)** هذا كفر لاشك. لكن لما صدر عن خطأ من شدة الفرح – أخطأ ولم يعرف أن يتكلم – صار غير مؤاخذٍ به، فإذا أخطأ الإنسان في كلمة؛ كلمة كفر؛ فإنه لا يؤاخذ بها، فكل هذا لا يترتَّب عليه شيء؛ لأن الإنسان لم يقصده، فهو كاللغو في اليمين.
- وقد قال الله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، بخلاف المستهزئ فإن المستهزئ يكفر إذا قال كلمة الكفر، ولو كان مستهزئا؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦]، فالمستهزئ قصَدِ الكلام، وقصد معناه؛ على سبيل السخرية والاستهزء؛ فلذلك كان كافراً، بخلاف الإنسان الذي لم يقصده؛ فإنه لا يُؤاخذ على قوله شيئًا.

****